

## الحب والنفس

قصة بقلم الدكتور  
عبد السلام الجبالي



الامبراطوري ثمن حلة فخمة للسيدة الوالدة لا بدللجهايرمن ان تراها ولوفي صورة على جدار ... خير من كل هذه اللوحات المترفة الباردة لوحة في زاوية القاعة التي انت فيها او التي تلبها ، ارجو ان تكون استوفقتك كما استوفقتني مرات . ان اسمها «الاختان» لساسيرو . كم احب هذا الفنان ذا الريشة المذبة اذا رسم الخنان ، المنبهة اذا رسم الرغبة والشهوات .

ليس هذا ما اريد قوله لك . لقد وعدتني ان تختار لزيارة اللوفر يوماً جيلاً ، مشرقة شمس . ورجوتك ، كما كان ملوك سالف الازمان يطلبون من قادة جيوشهم ، الا يفضوا الاختام

عن اوامرهم قبل بلوغ اسوار المدينة المهاجة ، رجوتك ان لا تفض رسالتني الا امام لوحة معينة سميت لك اسم راسها . اذن فالشمس ساطمة الآن في ساحة قصر اللوفر ، وعلى ازهار حديقة التويلري وعلى امواج السين ، وهذه اشعتها تتسلل من السقف الزجاجي للقاعة التي انت فيها فنفسي ولا تبهر . في هذا الضوء المصفى الذي تكتسب فيه الوان الاجساد العارية المرسومة رواء طالما فنتني كلا ورفت موقفك ، في هذا الضوء تطلع يا حبيب القلب الى الصورة التي تقف امامها ، تطلع واذا كر ، على كونك بعيداً عن فيلا كارلو تاعلى شاطئه بحيرة كومو ، انك امام صورة الحب والنفس ، صورة أمور وبسبشيه ( ... )

هنا رفع الفتى الغريب رأسه متطلماً ، مطيعاً بذلك الكلمة الآمرة التي قرأها في الرسالة . تطلع الى السقف الزجاجي فوقه الذي كان يخترقه نور صاف متجانس لمله كان يحسبه نوراً صناعياً لولا ان الوهج الذهبي فيه كان ينبىء بانه نور الشمس قد اخترق زجاج السقف . تطلع الى الناس حوله والى اللوحة التي كان يقف حياها . كان يلم وقد قرأ الصفحة المدنية تحتها ان هذه اللوحة صورة أمور وبسبشيه ، وانها من رسم البارون فرنسوا جيرار . وكان جبال اللوحة وروعة موضوعها وتلك الالوان البديعة التي بدا فيها الجسمان العاريان ، جما أمور وبسبشيه ، وقد انحنى أمور مقبلاً في ضياء الفجر حبيبتة الغافية ، كل ذلك كان خليقاً بأن يستمرق من الفتى نظراته وخوارج ذاته . ولكن هاتين الكلمتين ، أمور وبسبشيه ، قد احتيا في نفسه ذكرى ، ان لم تكن قديمة ، فقد حالت بينه وبينها ايام طويلة ومسافات بعيدة . ملأت عليه تلك الذكرى نفسه ، ولم تكن وقفته حينذاك وقفة قاريء رسالة ولا مستميد ذكريات سالفة ، فترجع الى مقعد مستطيل وسط القاعة ، وهناك جلس واضماً ساقاً على ساق واخذ وهو يتطلع الى أمور مقبلاً بسبشيه يستعيد في خاطره لحظات ذلك الصباح ، منذ شهرين ، على ضفة بحيرة كومو في شمال ايطاليا ، وعلى افريز ذلك المقهى في ضوء الشمس الساطعة وفي مهب نسيم منطقة البحيرات العليل .

في ذلك الصباح حين عجز الفتى الغريب ، وكان غريباً في تلك البقعة من ايطاليا مثله في متحف اللوفر بباريس ، حين عجز الفتى الغريب عن افهام ساقى المقهى الايطالي قصده ، سمع صوت فتاة تخاطبه بالانكليزية :  
- هل استطيع معاوتك ايها السيد .

ليست قاعات متحف اللوفر ، في باريس ، الفاصة بالزائرين في كل ساعة من ساعات النهار ، مكاناً مختاراً لقراءة الرسائل الشخصية . ولكن فتى غريباً اسود الشعر اسمر الحيا كان يقف في هذا المتحف في قاعة واسعة غطت جدرانها لوحات رائمة لفنانين فرنسيين في عهد الامبراطورية الاولى ، بدا كأنه قد نعم ان يقرأ رسالة له في هذا المكان دون ان يأبه للزائرين المتبايعين ، المتقلبين من لوحة الى اخرى ، المتطلعين اليها عن بعد ، المتمنعين فيها عن قرب ، المتحولين من ناحية الى ناحية ليتبينوا من كل صورة دقائقها في مختلف زوايا المنظور . اقترب هذا الفتى اولاً من لوحة كبيرة كانت تغطي جزءاً من احد جدران القاعة التي كان فيها ، وبعد ان انحنى كأنها يريد التثبت من اسم تلك اللوحة واسم الفنان واسمها ، ابتعد قليلاً حتى امكنه ان يشمل الصورة بنظرة واحدة ، ثم لم يلبث ان اخرج من جيبه مغلماً فضه عن رسالة مطوية . ودون ان يجيد الفتى الغريب عن موقفه ليفسح لمن يليه من رواد المتحف ، رفع الرسالة الى مستوى عينيه وطفق في قراءتها لنفسه .

كان يبدو من حركة شففتي الفتى الغريب حركة خفيفة اثناء قراءته الرسالة انه لم يكن يتفهم لغتها بسهولة . ذلك لانها كانت مكتوبة بغير لغته ، كانت مكتوبة بالانكليزية وهي لغة كان الفتى يعرفها دون ان يجيدها الااجادة التامة . لذلك كان يقرأ ببطء ويهمس بالكلمات ليستمين بلفظها على تفهمها . ما الذي كانت تقول تلك الرسالة ؟ ... ان هذه هي ترجمتها :

ايها العزيز :

انت الآن في متحف اللوفر قد انتهيت الى القاعة التي وصفتها لك . قد تكون لوحات دافيد وجيريكو واضرابها تلك الصور الزسمية الحافلة بالاردية الارجوانية والذاتتلا المذبة قد لغت نظرك وانت تزور اللوفر لأول مرة . ولكنك معي فيما اعتقد بأن هذه اللوحات على كالمها ليست هي الفن الصحيح . ورامك صورة قلاً جداراً بكامله ، لوحة تنويج نابليون . هل تعلم ان ليتيسيا بونابرت ، ام الامبراطور ، لم تحضر الاحتفال ولكن دافيد اثبتها في لوحته رغم انف الحقيقة التاريخية ؟ ما كان الفنان المسكين يستطيع ان يفعل غير هذا ، فقد تكلف البلاط

فالتفت الفتى الى مخاطبته . كانت الفتاة تلك التي كانت تجلس منفردة على مائدة على يمينه ، والتي لفتت نظره عند دخولها المقهى بشمرها الأشقر المجدول ضفيرة واحدة منحدرة على كنفها الايمن ، ولقد لصقت بقمة رأسها قنسوة لاطئة كقنسوة الرهبان الفرنسيكان . وقد تبين حين التفت اليها ان في عيائها من ممانني الجمال ما يسترعي الانتباه غير جديدة شعرها . فمدا ثمرها المورد المضموم كان لها عينان واسمتان طويلتا الاهداب وحاجبان كثتان مستقيمان يكاد ان يحسبها لفتاة من بلاده لولا ان شقرة شعرها وعيائها الذهبي الوجنتين كانا يثبتان بانها من بنات الشمال . شكر لها معونتها بجمارة وأدار كرسيه حتى اصبح مواجهها لها ، وقال :

-- اعذريني يا آنسة على سوء نطفي للانكليزية ، ولكن هؤلاء الناس لا يتكلمون غير الايطالية . اني احاول ان اعرف طريقة الوصول الى فيلا كارلوتا في كادانيا ...

فقدت الفتاة على منضدتها خريطة كانت مطوية في يدها واخذت تتبع باصبعها شاطيء بحيرة كومو . فسألها وقد سره ان يكشف ان بينهما امرأ مشتركا :

- ارى يا آنسة انك مثلي في رحلة سياحة !

فضحكت دون ان ترفع بصرها عن الخريطة وقالت :

- نعم . ولكني سائحة متواضعة . بيننا وبين كادانيا ثلاثون كيلومترا ، وتستطيع ان تختار لنفسك احدى طريقين للذهاب اليها : بالتيبوس ، او باحد الزوارق التي تدير البحيرة . اما انا فان وسيلتي الوحيدة للتنقل دراجتي ... و اشارت الى دراجة ناروية صغيرة من نوع الفسبا كانت في ركن الشارع امام افريز المقهى . فانساق الفتى وراء هذا الموضوع من الحديث تمتدحا لها اسلوب السياحة هذا الذي تبهه مبيتا لها كيف ان التجول على الدراجة يكفل لها ما يتوق هو اليه من استقلال في التنقل ومتمة في التأمل . فاصفت اليه الفتاة طويلا قبل ان تحدجه فجأة بعينها الواسعتين وتقول له :

- ولماذا في كادانيا فيلا كارلوتا بالذات ؟

ففتح الفتى دليل منطقة البحيرات الذي كان بيده على صفحة الآثار الفنية وأشار الى فقرة منها باصبعه داعيا لها الى ان تقرأ . فابتسمت الفتاة وقالت :

- اذن فهذا هو السبب . ألى هذا الحد يعجبك كانوفا ؟

فلم يجب . والحق انه لم يكن يعرف بماذا يجب . فما كان له أي رأي حول فن كانوفا بين النحاتين ، ولكن الدليل الذي بين يديه كان يعطي لهذا الاثر الفني الذي تحتفظ به فيلا كارلوتا على شاطيء بحيرة كومو ، من آثار كانوفا ، أهمية كبيرة . وهذا وحده وليس واه به فن كانوفا بالذات هو مادفمه الى البحث عن وسيلة الوصول الى كادانيا . وعادت الفتاة ذات العينين الواسعتين الى السؤال :

- أصبح ان رحلة الفسبا تمجيبك ؟

قال : اني اغبطك على مثل هذه الرحلة .

فقالته بهدوء ، بينما عيناها تلفانه بنظرة غامضة :

- ان جولة على شاطيء البحيرة في هذا الصباح بديمة . اذا لم ترعجك صحتي فان دراجتي تستطيع ان تحملنا كلينا الى كادانيا ... وكان هذا فوق ما كان يحظر ببال الفتى او ما كان يؤمله ، فقبله جذلا ، وحمد حظه اليوم في لقاء هذه الشابة الجميلة . ولما تقدمته الى الدراجة اشارت له الى مقعد القيادة وقالت : - سأجلس وراءك فابتسم معرجا وهو يقول :

- ولكني لا اعرف قيادة هذا النوع من الدراجات .

فارتفع حاجبها الكثيفان المستقيمان ، وقالت في تردد مستحب :

- هل ترضى ان تجلس ورائي اذن ؟

فلم يدر بماذا يجب . كان سؤالها يطوي في ثناياه انه ليس من المستحسن ان تسوق الفتاة ويقعد الفتى ، ولكن لم تكن هناك وسيلة لأن

يصحب هذه الصبية الفاتنة غير هذه . فضحك قائلا في مرح :

- ولم لا يا عزيزتي ؟ الى فيلا كارلوتا ...

فتفتت وكأنا اعداها موحه :

- نعم الى فيلا كارلوتا ، لنحج الى رائمة كانوفا ... أمور وبسببته ...

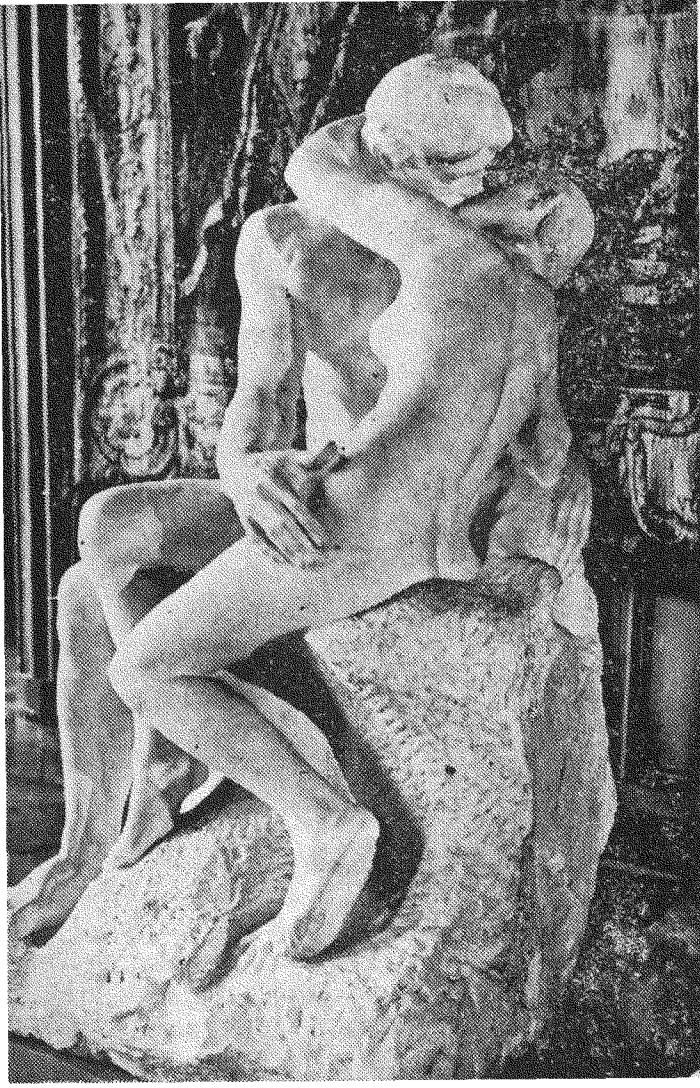
حين بلغ الفتى الغريب في خواطره هذا المبلغ تذكر انه يقف الآت في متحف اللوفر امام لوحة أمور وبسبته ، وانه لم يتم بعد قراءة الرسالة التي يحملها في يده . فخفض بصره الى صفحات تلك الرسالة وطقق يقرأ :

« ... انك أمام صورة الحب والنفس ، صورة أمور وبسبته ... »

حين عرضت عليك موعتي أول الامر لم يحظر بيالي شيئا أكثر من ان أترجم بينك وبين خادم المقهى . فهمت انك غريب ، ولم الق قط بالا الى ملاحظتك . فلما وضمت يدك على الدليل لتريني ان كل غابتك من سفرة بعيدة في البحيرة رؤوية التمثال في دارمة منزلة ، خطر لي ان رفة محب لفتن مثلك ، شاب اسر الحيا فوق ذلك ، جديرة بان تغتنم . كانوفا ؟ لني لا اعجب بتأنيله ولا احب اسلوبه . ان نساءه

مسترخيات ورجالهم مثنون . هل رأيت تمثال نابوليون في متحف بريرا في ميلانو ؟ لقد اراد كانوفا ان يمثل الامبراطور بقصر فيجا كاحدى نساء بوتشيلي الجبالي في لوحة الربيع . لا مثال بعد رودان ، وهناك مثال واحد قبله هو ميكل انجلو . ألك شرفي احببت الطراوة واستدارة الاعضاء اللس في تماثيل كانوفا ؟ ام لانك عنيف في ذاتك اعجبت بالوداعة في عناق عشاقه ولمسات ازميله ؟ اما انا فاني مسحورة بالعرف البادي في انفراس اصابع ذلك الجبار ، « مفكر » رودان ، في صخر قاعدته ، وبكل عضلة ناشزة في اطراف « اعيان كاليه » تمثاله المشهور .

كنت قد رأيت تمثال أمور وبسبته لكانوفا في مجموعة صور فنية مند زمن بعيد ، فكان في رأيي خيالاً شاحباً من تمثال القبة « لرودان » ، على سبق كانوفا لصاحب باب الجحيم في الزمن . ولكني لم احذتك بهذا لأنني لم اكن حريصة على ان ترى رواثع الفن بعيني انا . كنت ورائي على مقعد الفسبا الحلفي ونحن نصعد في طريق كادانيا المهادية للضفة ، تلك الطريق الجميلة دوماً ، وفي ذلك الصباح بصورة خاصة . على يميننا كانت البحيرة تجمد وجهها الزوارق الشراعية المتهادية بهوادة ورشاقة وتحدده الزوارق البخارية المنطلقة بمنف وسرعة ، بينما يتلون هذا الوجه بكل الوان الجانب الايسر من الطيف ، بين البنفسجي والاخضر ، حسبما تقع اشعة الشمس على سطح البحيرة او يحجبها عنه سحب او ضباب . اما على يسارنا فقد كانت الحدائق والمنازل والسفوح المشبة تمج بالحياة ويتهادى في مراتها الجمال . كنت وانا اسوق الفسبا احس بنشوة الحياة تتسرب الي مع النسيم المندهع الى اعماق رثتي الملهب وجنتي ، المابث بشعري والمتسلل ببرده بين الطريق وجدي : ولكني بمد ان جزنا بشرنوبيو مسرعين وسلكتنا تلك الطريق الضيقة المرتمعة احسست باحدى يديك يدك اليمنى على وجه التأكيد ، تمس خصري ، حر كة دفاع ذاتية منك حين اسرعت بدراجتي في احد المنعطفات الحادة دون وعي مني الى اني احملك ورائي . ولكن هذه اللسة التي ما اردتها انت الة رفيقة صامنة الهبت شعوري واثارت في نفسي عاطفة غامضة ، لذينة في غموضها ، لاذعة في لذتها . وفي كل هذه الطريق بين شرنوبيو وكادانيا لم يسبق في فكيري ولا في احساسي غير معنى واحد ، هو اني احمل قدرتي ورائي . من اين تسرب هذا المعنى الى نفسي ؟ لست ادري ، ولكني كنت احسه قد اخذ علي جوانب ذاتي ، واشعر لا بأني امامك افودك على دراجتي بل انك ورائي



القبلة - لرودان

كانونفا في نحت التماثيل، ان كفه الاربعة المستريحة على هضم كسحها انما كانت تبحث عن مسند لجسده عن السقوط عند انعطاف الدراجة في منعرج الدرب... ما كان ابرأها من طفلة! اما هو فقد احس بأنها اصحت له منذ اطمأنت يده على ملفوف قدها ومنذ احس بحرارة جسدها التي تدب الى كفه التي تلجها النسيم البارد. فلما ضمتهما القاعة المربعة من فيلا كارلوتا وانتبها الى تمثال آمور وبسبب سره ان يقوم التمثال الذي سعى اليه من كومو في ردهة مقفلة من الزوار وان تمزل اساطين الرخام بينها وبين عين الحراس الفضوليين. فوقف وقفاته امام التمثال وحيد في السكون الشامل والنور الشاحب. حينئذ، في الوحدة والسكون وفيض العواطف التي تعمق مشاعر هارويش بها صدره ضم الى صدره القامة المطواع التي كان يصرها بذراعه، وقارب رأسه من رأس الحسنة التي كانت الى جانبه بأدنى مما قارب به كانونفا رأسها، ثم التقط بشفتيه شفتي فتاته في قبلة همت بها شفاه آمور وبسبب منذ مائة وخمسين عاماً ولم تبلغها الى هذه اللحظة...

وعاد الفتى الغريب الى رسالتها التي كانت تقول :

« كانت قبلتنا الاولى في ظل تمثال آمور وبسبب. وكان حيي لك مثل حب آمور لبسبب، حباً في الظلام. هل كان بمقدوري ان احبك على غير هذا التمثال؟ ان آمور اله الحب، الذي عشق بسبب وعشقتة حتم عليها كي يستمر حبها ان لا تحاول رؤيته في النور. فكان يطوقها كل ليلة في جنح الظلام ويودعها في نومها بقبلة عند منبج الفجر. حاولت

تسوقني الى مصير انت حتمته علي. لم تكن طريق كادانيا في اعماق شعوري حينذاك طريق نزهة صباحية لرفيقين شاب وفتاة. بل كانت درب الشوق لصوفيين متعاقدين بالخصائص الى غاية هي مكة الاشواق، ممثلة بذلك التمثال الذي يجبو فيه إله صبي عار على حورية من بني البشر مضجعة، والذي اسمه آمور وبسبب! لعل الريح الباردة التي كانت تلمح جبيني قد ثلجت الدم في رأسي فاخذت تبدو لي دنك وعني تصورات كتصورات التائه في تلوج القطب او الراكض وراء سراب الصحاري. كنت ورائي فلم اكن اراك، ولكني كنت احس بك واحس بنظرات عينيك الشريقتين تنزلق على اهداب جفونك قبل ان تصيب عنقي وكفني المارين. ومثلما كنت احس ببرودة الريح على جبيني ووجنتي كنت احس بلهب نظراتك يلذع كل ما يقع عليه من جلدي. حتى وقفنا عند باب ذلك القصر الانيق المنزل، بسله المزدوج وغابسة السرو الممتدة وراه، فيلا كارلوتا.

ستظل ذكرى اللحظة التي وقفنا فيها في تلك الزاوية من الردهة الرئيسية في فيلا كارلوتا اعذب ذكرى، لا في رحلتي ولا في عامي، بل في حياتي كلها، لأول مرة اكتشف سر الجمال في انثناءات الاصابع التي نحتها كانونفا، وروعة الانحناءات في عناق الاعضاء المتخالفة من جسدي العاشق والمشوق. لم تكن عضلات آمور متقلصة ولا اصابع قدمي بسبب منضمة تمانق اصابع قدمي عاشقها كما في « قبلة » رودان، بل كان احد ذراعي آمور يلف قد حبيته والآخر يداعب بانامله المشيقة ما بين خدها واذنها، بينما كانت شفتي بسبب منفرجتين في استدعاء، واصابع قدها اليمنى متباعدة منطلقة في عطاء. هذا التمثال البديع كان يمثل الشوق الملح مثلما يمثل تمثال رودان الرمال العنيف. في تلك اللحظة ونحن مأخوذان بروعة ما تحت ازميل كانونفا الساحر، وجو الردهة المقفرة مغمم بذلك الشوق الملح، شوق آمور الى بسبب، اقترنت شفتي يا حبي بسفتيك ... »

عند هذا المقطم من الرسالة فرغ الغريب عينه متطلماً الى اللوحة التي كان يواجها، فخيل اليه انه لم يكن يرى فيها صورة آمور وبسبب على صفحة من قاش بل كان يراها في تمثال كانونفا على قاعدته في اقصى الردهة المربعة من فيلا كارلوتا. وعادت به الذكرى، كما لو كانت شريطاً سينمائياً يسير باتجاه ما كس لزم التقاطه، الى تلك الطريق الفريدة الأخاذة المناظر التي تمتد بين كوهو وكادانيا محترقة شرئو بيوعلى شاطئ البحيرة. انه يذكر في وضوح تلك اللحظة التي اشارت اليها الرسالة حين مس بكفه، ثم ضم بذراعه خصر الفتاة ذات الحسن الفاتح التي كانت تسوق به الدراجة. كان بصره قد كل من التفت الى مجالي الجمال في الطبيعة حوله فاستقر لبرهة على نقطة من العنق، مودة في شعوب، كان ينحسر فيها الشعر عن النقرة ليتجمع ذؤابة غليظة مفردة تنحدر من فوق المنكب الايمن على نهود الصدر. أغريت عيناه بتلك النقطة من العنق فراحت يتأمل فيها تأمل المفترس. ان مجالي الفتنة في وجه امرأة وفي جسدها وافررة كثيرة العدد، الا انه لم يتح له في مرة ان ينم النظر في نقرة عنق جميل كما اتيح له في جلسته هذه وراء حسنة تسوق به دراجة. خطر له ان ينحني فيمس بشفتيه هذا الزغب الذهبي الذي كان يتراعى لمينيه متموجاً، لامعاً، او كامداً حسب ميل العنق ويفغر الضوء النقرة او ينحسر عنها. خطر له ذلك ولكنه لم يحققه وانما انحدر ببصره الى الجسد البديع التكويني الذي كان على مقعد القيادة امامه، ولم يتالك نفسه في هذه المرة عن ان يمد يده ليمسها كسح هذه الحسنة ثم ليضم خصرها بذراعه ضمّاً رقيقاً اول الامر عنيقاً بده ما كان ابرأها من طفلة حين ظنت، وهي تقارن في خلدها بين فن رودان وفن

بسبب هذه ليلة ان تراهم على ضوء الصباح وهو نائم ، فلما فلتك بهرها  
جاءه ، ولكن قطرة من زيت الصباح سقطت على وجنته فأيقظته .  
فكان ان خسرت بالنور حبا الذي صانه الليل وترعرع في الظلام .  
انت الآن ايها الحبيب امام امور مقبلاً بسبب في لوحة جبرار .  
لذا اخترت ان تقرأ رسالتي عند هذه اللوحة وأن تعرفني ، ان تكتشف  
سري امامها . وذلك لتعترف لي وانت ترى الهنأة المريضة التي تنضح  
بها ملامح بسبب الهنأة والحب الغامر الذي يشع من حبا أمور مقبلاً  
حبيبته ، لتعترف لي وانت ترى هذا وتلك حرصي على ابقاء ما اقوله  
لك الآن ملغلاً في الظلام كسر حب هذين الماشقين الازليين . كم  
نازعتني نفسي في اعقاب الليل التي ضمنتنا مما ان اوقظك من نومك  
واضيء لك الصباح... بان اقص عليك قصتي . ولكنني كنت اخاف  
مصير بسبب . ربما ارضى غرورك كرجل حينئذ ان تسمع حكايتي ،  
ولكنني كامرأة كنت مهددة بأن افقد من نظراتك الخنو ومن  
ذراعيك الرعاية ومن نفسك الاحترام . اما الآن بعد ان  
بمدت عني ، وبعد ان جملت من انا وابن انا ، فلن يضيرني ان اضيء  
لك الصباح والقي النور ، لا على حباك الجليل ، بل على حقيقتي انا...  
ان اسمي رينات حقاً ، ولكن فيلها بر الذي زعمت لك انه اسم  
اهلي اسم خيالي ، وكذلك اسم القرية التي نسبت نفسي اليها زاعمة  
لك انها تقع على ضفة الالب قرب هاه بورغ . وليس اني فندقياً ،  
ولكن امي ورتت عن جدتها قلعة قائمة على قمة ما في طريق العنب  
والذهب المطلة على الدانوب فلما تغيرت علينا الدنيا اخذت تستضيف  
في قلعة اجدادها ضيوفاً مختارين يدفون بطيب نفس اجر اقامتهم  
في حجرها القديمة التي استضافت في ذات يوم ريكاردوس \* قلب  
الاسد ، محاطين بذكريات الامراء الفرسان في عصور الحروب  
الصليبية . ان النالة الطيبة واللب المريق لا يجران معنا في ايامنا  
هذه ، ولكن امي حريصة على ان تسير جدها على تقاليد آباؤها .  
ومن تقاليد اولئك الآباء ان ازف الى صاحب لقب مثل اهل امي  
وأني بعد الفصح القادم ، وان لم يكن في تقاليدهم ان الفلاك على ساحل  
بحيرة كوهو هذا الصيف . ولكنني لقيتك هناك وتقبلت ، في ساعة  
نسيت فيها نفسي ، شفيتك في فيلا كارلوتا وآمور وبسبب علينا شاهدان .  
لماذا اخفيت عليك امري ، لماذا كذبت عليك ؟ طالما سأك نفسي  
هذا السؤال فلم تجد عليه جواباً ، بل لعلها وجدته ولكنها لم تجرؤ  
على مصارحة ذاتها به . كيف استطيع اذن ان اصارحك ؟ ...  
فوداعاً ، ولا تحاول ان تجد لي اثراً ، فانك لن تقدر . يمكنك الآن  
ان تحمل نفسك من كلمات الحب التي همست بها في اذني حارة صادقة  
تحمل ذوب قلبك ، فا انا الا فتاة مفامرة او همتك بأنها حرة بينا  
رجلها ينتظرها . ويمكنك الآن ان تنظر بعين الاستخفاف الى  
الفتاة التي اعجبك حسنها وعجبت من احاطتها بأموور كثيرة احاطة  
لا تتفق مع بساطة نشأتها ، وسحرك - اما كنت تقول هكذا؟ -  
نبل تصرفاتها ، فا انا الا ارستقراطية متفخخة احبت ان تطلق نفسها  
على سجيبتها قبل ان تدخل القفص الذهبي . اني بسبب التي اضاعت  
المصباح ففضحت نفسها ، ولكنني كذلك بسبب الهبة ، فهل يضيرك  
ان اقول لك ، وهل تصدق اذا قلت لك ، اني احبك؟! أرجوك...  
تأمل في لوحة جبرار امامك واذكر مرة اخرى اني لم اخذعك  
عن نفسي الا لانتي اردت لك لنفسك اطول ما يمكن من الزمن...»

رينات

فرغ الفتى من قراءة الرسالة ولكنه لم يرفع رأسه ليتأمل في لوحة  
جبرار . كانت على شفثيه ابتسامة خفيفة ، ابتسامة اختلط فيها الاشفاق  
بالسخريفة بالوضي عن النفس . ان ما كتبته رينات قد ارضى حقاً غروره ،  
يا هؤلاء النساء ! لماذا كل هذه الحرارة في كلمات على ورق ؟ ان في هذه  
الكلمات ضميراً قلقاً وتلباً يتقد ، والامر ابسط من كل هذا ، واعذب .

كانت علاقته اياماً مدودة برينات نعيمياً لكليهما ، الا انه بينما حمد هو حظه  
على هناه هذه الايام اخذت هي تبكي حظه على انه ليس حياً دائماً هكذا  
المرأة كل آن في مجال الحب ، لا تقع على لذة الا تمت ان تستحيل سمادة  
وليس هذا في منطق الامور الواقعة ولا في منطق هو ، الفتى الغريب .  
لقد احبته رينات ، لقد كان موقناً بذلك من تصرفاتها في تلك الايام التي  
عاشها معها . وقد تقبل منها قصتها عن نفسها انها ابنة فندقي مقيم في جوار  
ها بورغ دون ان يخامر شك في ذلك . وما الذي كان يهيم منها  
اكانت فندقية او ابنة امير ؟ كان حسبه منها ان تطوقه بذراعيها وان  
تسبل عليه شعرها الكثيف بمد ان تحمل ضفيرته المفردة فتعمر باسلاكه  
الذهبية وجهه وتمسح بها مداعبة شفثيه . وكان يكفيه منها وهي ذات  
الروح الذكية والذهن المنقد والجد الجليل ان تشمره في جور الرجل  
والمرأة فيه ندان ، انه سيد لها : تنطق بذلك نظراتها وتطامن روحها  
واستخذاء جسدها . كل ذلك بالنسبة اليه ذكرى ، وقد زاد في عذوبة  
الذكرى معرفته ان رقيقة تلك الساعات اليبنة لم تكن فتاة من غمار القوم ،  
بت صاحب فندق في قرية المانية ، بل كانت ابنة نبيلة المتمد ملك اجدادها  
القصور واستضاءوا الملوك على ضفاف الدانوب ! ورفع رأسه الى لوحة  
البارون فرنسوا جبرار فرأى فيها بسبب نائمة عارية قد توهج جسدها  
بلون وردي مذهب ، فخلب اليه انه يرى في غفوتها رينات على ذراعه في  
غرفتها في فندق ميرالفو . لقد احب بسبب ، يعني رينات ، حب ليلة ،  
حب مفامرة ، فها اشوقه ان يمينا هذه المفامرة من جديد ، ان يلقي رينات  
مرة اخرى فتقوده بالفنسا عبر القزى الايطالية الصغيرة المبعثرة بين  
البحيرات في عالم باق بالجمال منتش بالفن والحب . فأي هي رينات الآن؟ ..  
وفجأة تذكر ان عنوان رينات الذي في مفكرته هو عنوان زائف ،  
وان ليس هناك على نهر الالب قرية اسمها بلكيدة ، وان كانت فليس في  
تلك القرية فتاة اسمها رينات فيلها بر ! فاحس عندئذ ان شيئاً قد تحرك في  
سويدائه مدعوراً ، وتصاب جسده لحظة حين ادرك بان هذا الشيء ليس  
غير حبه ، حبه لرينات ! لم تكن رينات مفامرة بل حياً حقيقياً ... هكذا  
قال لنفسه . ولكن منذ متى اصبح حبه لها كذلك ؟ اترى معرفته بنبل  
اصلها ، وهو الذي ترسب في نفسه رواسب من عبادة الالقاب الطنانة ، هي  
التي اضفت على عاطفته هذا الطابع الحاد ، ام لانه اضاعها ، اضاعها الى  
الابد ، اصبح يمحها ؟ ... واطرق واضعاً رأسه بين يديه ، مفكراً .

وحين رفع الفتى الغريب رأسه بعد ذلك كانت لوحة جبرار لا تزال  
في مكانها ، وكان أمور لا يزال يقبل بسبب . ان أمور قد احب ، بسبب  
ما دامت الظلمة تلفها ، ولكن حبه هو لرينات لم يكن الا حين اضاعت  
رينات المصباح التي خافت منه على حبا . سار الفتى الغريب يجر قدميه في  
قاعات اللوفر الى الباب ، وفي ذهنه تختلط صور شتى وتمايل مختلفة لأموور  
وبسبب ، للحب والنفس .

## عبد السلام العجيلي

### الرقعة - سورية

\* بعد ان عاد ريكاردوس قلب الاسد من فلسطين فاشلا في  
الصليبية الثالثة اسر اثناء اجتيازه أوروبا الوسطى واحتفظ به رهينة في احدي  
القلاع المطلة على الدانوب ، ويظن انها قلعة دورنشتاين بالقرب من  
كريمس بين مدينتي فينا وليفز من بلاد النمسا الحالية . وهذا ما انتهى اليه  
الغريب في تنبئه لسير هذا الملك الاسير في أوبته الفاشلة . وقد سها عن بال  
صاحبة الرسالة انها بهذه الجملة من رسالتها قد فتحت لصديقتها باباً من الامل في  
الشور عليها . ولا بد لنا ان نذكر هنا ان هذا الفتى كان يبدأ في نشأته  
وثقافته عن التعلق بالآثار الفنية وعن تتبع تاريخ المصور السالفة ، الا انه  
اخذ يهتم بالفن بتأثير أمور وبسبب . ويتاريخ القرون الوسطى في بحثه عن  
القلاع القديمة المشرفة على مجرى الدانوب . اما سيره في اثر رينات حتى  
صخرة دورنشتاين فتلك قصة اخرى ، او تنمة لقصة . ع . ع .